الصباح الإسلامية
09
العدد 1923 - السنة السابعة
الاحد 29 رمضان 1435 - الموافق 27 يوليو 2014
Sunday 27 July 2014 - No.1923 - 7th Year

شبهات مدعي الثقافة والوطنية وردود القرآن الحاسمة (2)

الصحوة الإسلامية أيقظت الضمائر.. ومراعاة ضوابط الشريعة دليل الإيمان

■ تهمة التسييس وقذف العاملين للإسلام بالبحث عن الهيمنة صارت سبباً في رد كل حقيقة شرعية

■ المفاضلة بين الناس على أساس معيار مادي بحت خطأ متفش .. والتسابق على الفتيا دون علم ظاهرة

تواصل نشر كلام الداعية الإسلامي المعروف الشيخ ابراهيم السكران عن شبهات بعض مدعي الثقافة والمدنية عن الإسلام والصحوة الاسلامية والثوابت الموجودة لدى الامة حيث يقول الشيخ في كلامه رابت طائفة من المثقفين يبالغون ويغالون في تعظيم القرآن، وقداسة القرآن، وشمولية القرآن، بصورة انبهارية لا يقولها مفسرو اهل السنة انفسهم! فكنت اتساءل ما المغزى يا ترى لهذه التوقير المفاجئ للقرآن؟ فما عهدت القوم نصوصيين! وإذا بهم يتخذون هذه المقالة في التوقير مجرد مقدمة لينفذوا من خلالها لنفي السنة واغتيالها.. فيجعلون قداسة الله ذريعة لإنكار نصوص رسول الله. فظننت هذا المدخل المخاتل شيئا جديدا، حتى قرأت قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)

ويستطرد الشيخ: ورأيت عدداً من الكتاب يذكرون ما كان عليه اهل منطقتهم من رقص الرجال والنساء سويا بكل نقاء وطهارة وصفاء نية، حتى جاءت الصحوة التي لوثت ذلك الصفاء ومنعت تلك المظاهر، فإذا قلت له: ولكن رقص الرجال والنساء سويا لون من الفواحش التي نهى الله ورسوله عنها. فيستمر يحتج عليك بالماضي الذي دمرته الصحوة!.. فكنت أتوهم هذا التفكير الساذج لونا جديدا من التفكير.. حتى قرأت قوله تعالى: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا).

ويبين السكران حقيقة من يعلنون ظاهرا احترام الوحي فيقول: وقرأت لعدد من المثقفين الذين يعلنون احترامهم لمرجعية الوحي ومفاهيم القرآن والسنة، لكنه كلما عرض له مفهوم شرعي رده وشنع عليه، فإذا سألته الناس عن ذلكقال لهم: انا ليس لدي مشكلة مع «النص»، وإنما مشكلتي مع «تسييس النص»، وهذه الخطابات الدينية كلها خطابات باحثة عن السيطرة، فصار يتعلل في رد كل حقيقة شرعية بتهمة التسييس وقذف العاملين للاسلام بالبحث عن الهيمنة والنفوذ!. فكنت أعتقد أن اتهام العاملين للاسلام بذلك بهدف التخلص من كلفة الانقياد إنما هي فكرة جديدة .. حتى قرأت قوله تعالى: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ).

ويكمل الشيخ قائلا: وسمعت مرة من أحد الليبراليين حنقه الشديد على ابن باز وابن عثيمين، وكان يقول فيهما كلاما لا يقوله المرء في أخس المجرمين، فسألته: ولماذا لا تصرح بذلك؟ ولماذا تستتر بمثل هذا الموقف المتشنج ضدهما؟ فقال لي بكل صراحة: لولا نفوذهم الاجتماعي لأشعلتها عليهم، فظننت أن ذلك حالة جديدة، حتى قرأت قوله تعالى: (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)، مضيفا ورأيت كثيرا من المثقفين يفاضل بين الناس على أساس معيار مادي بحت، فالكافر العالم خير من المؤمن الجاهل، والكافر الثري خير من المؤمن الفقير، وكنت أتوهم أن هذا المعيار المادي فكرة جديدة لم تنبه إليها النصوص، حتى قرأت قوله تعالى: (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ).

ويقول: وتلاحظ أنه حين تثور في المجتمع مسألة شرعية جهادية أو قضائية أو حسبوية أو دعوية أو غيرها فإن كثيرا من الكتاب يتصدر للفتيا فيها وهو لم يبحثها أصلا، ويذيع فتواه وينشرها، وينسب رأيه للشريعة بلا تردد، والاجتهاد في الشريعة ليس محصورا على عرق أو نسب، وإنما هو مقيد بشروط علمية كغيره من التخصصات، فكنت أتعجب من تسابق هؤلاء الكتاب على الفتيا دون علم.. فلاهم درسوا النصوص، ولا سألوا من يحسن الاستنباط منها، وكنت أظن ذلك شيئا جديدا حتى قرأت قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)

ويعالج السكران مشكلة تحقير اسم الواعظ قائلا: وكنت اسمع هؤلاء المتليقين إذا أرادوا ان يحقروا احداً سموه بـ«الواعظ» تقليلا لشانه، وهذا التحقير بهذا الوصف فرع عن كونهم يرون المواعظ احط مراتب الخطاب وانقصها قيمة، فتسرب إلى ذهني هذا التحقير للمواعظ بشكل غير مباشر، وصرت مثلهم اعتقد ان المواعظ لا تليق بالخطاب الراقي، حتى رأيت الله تعالى وصف كتبه السماوية بانها «موعظة» فعلمت بانه من المحال ان يختار الله لأعظم كتبه احط الاوصاف، فسمى القرآن موعظة فقال (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ)، وسمى التوراة موعظة فقال (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا)، وسمى الإنجيل موعظة فقال (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ).

ويضيف الشيخ ولطالما كنت أتوهم أن الاحتجاج على «صحة المبدأ بقوة اتباعه» إنما هي طريقة جديدة ساذجة في التفكير، وأن الناس كانت تدرك أن الحق لا صلة له بالقوة، حتى قرأت قوله تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)، ولطالما كنت أتوهم -أيضا- أن الاحتجاج على «بطلان المبدأ بضعف اتباعه» إنما هو طريقة جديدة ساذجة في التفكير حتى قرأت قوله تعالى: (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ)

واستطرد السكران وكنت الاحظ بعض المتليقفين يستكبر عن الإنصات للخطاب الشرعي، وإذا عرض له شيء من ذلك، تظاهر باستكبار انه لا يفهم ماذا يقول هذا وربما أخفى كبرياءه في سؤال استعلائي يقول فيه: ماذا يقول هذا الشيخ؟! وكنت اظن ان مثل هذه الأساليب الاستعلائية أساليب جديدة .. حتى قرأت قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا).

وأشار الى مسالة بشرية الصحابة والتابعين واحتجاج بعض الناس بها على عدم قبول بعض ضوابط الشريعة قائلا: تلاحظ أن كثيرا من المتليقفين حين تنقل لهم في أصل شرعي كبير تواطؤ أقوال ائمة الإسلام الكبار كفقهاء أصحاب رسول الله، ومفتي التابعين، وائمة الأمصار المتبوعين، يقول لك: هؤلاء كلهم بشر، حتى لو تتابعوا على أصل معين فإنه لا يلزمني، قلت له: هذا يلزم عليه انهم كلهم ضلوا في أصل كبير من أصول الإسلام، فيقول لك: هذه لوازم لست معنيا بالتفكير فيها، ويبقى انهم «بشر» .. وبتطور الأمر سوءاً عند بعضهم فلا يقبل مروياتهم ولا فقههم بحجة انهم «بشر» .. فكنت الاحظ كثرة ترديدهم لبشرية السلف لبرهنة عدم حجية ما تتابعوا عليه نقلاً او فقها.. وكنت أتوهم أن التذرع بالبشرية لرفض الانقياد للشريعة شان جديد.. حتى قرأت قوله تعالى: (قَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا)، مضيفا وفي منتديات وصالونات المتليقفين تتفاجأ بكثير من العلمانيين الجذريين الذين لا يعولون على حاكمية الشريعة في دقيق ولا جليل، وإذا كتبوا في منتديات الانترنت بالاسم المستعار رايتهم علمانيين جلدين، لكنهم إذا كتبوا للناس بأسمائهم الصريحة في الصحافة أكثروا من ذكر «مع مراعاة ضوابط الشريعة»، والاستفادة من الفكر الغربي بما لا يعارض الشريعة»، ونحو هذه العبارات.

ولطالما وقفت متأملاً هذا (النفاق الفكري).. فكنت أتعجب منهم كثيرا كيف يبيتون ما لا يرضاه الله من العلمنة ورفض حاكمية الشريعة، فإذا كتبوا للناس اظهروا احترام الشريعة ومراعاتها؟! .. وكنت أظن هذه الحالة شاذا جديدا حتى قرأت قوله تعالى: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ).

وأوضح السكران معنى الخشية من الله والخشية من الناس بقوله: وكنت حين أرى متليقفاً من أصحاب (النفاق الفكري) الذين يسرون في صالوناتهم ومنتدياتهم الانترنتية بالعلمانية ويتظاهرون في الصحافة بمراعاة ضوابط الشريعة أقول في نفسي: هل من المعقول أن يكون يخشى من حمية الناس لدينهم اكثر من خشيته وخوفه من الله رب الناس؟ قرأت الله تعالى يقول: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ).

متابعاً وكثير من المفكرين العرب اليوم يقرر بكل صراحة بأن القضية الفكرية في أكثرها (لعبة لسانية) أو بمعنى آخر (مهارة لغوية).. بمعنى أن القضية هي تبديل الفاظ فقط.. ولذلك ترى الليبراليين عندنا يحرفون النصوص تحت شعار (إعادة القراءة) ، ويبدلون أحكام الشريعة تحت شعار (تجديد الخطاب الديني) ، ويدخلون المحرمات تحت شعار (الانفتاح) ، ويلغون الحواجز الشرعية بين الجنسين تحت شعار (المساواة) ، ويهيجون أهل البدع لنشر بدعهم تحت شعار (الحقوق الوطنية) ، وهكذا .. ثم يجمعون هذا الإفساد كله تحت شعار (حقبة الاصلاح) و (عهد الإصلاح الميمون) و(ملك الإصلاح) الخ! فكنت أتوهم أن هذا التلاعب اللغوي شان جديد .. حتى قرأت قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ).

مواقف من السيرة

هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الأربعين من عمره وكان يخلو في غار حراء بنفسه، ويتفكر في هذا الكون وخالقه، وكان تعبده في الغار يستغرق ليالي عديدة حتى إذا نفد الزاد عاد إلى بيته فتزود لليال أخرى، وفي نهار يوم الاثنين من شهر رمضان جاءه جبريل بغتة لأول مرة داخل غار حراء، وقد نقل البخاري في صحيحه حديث عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ» قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ» فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: «ما أنا بقارئ» فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجُف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني! زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرئ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى: فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوَمُخْرِجِيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي».

عندما نتامل في حديث السيدة عائشة يمكن للباحث أن يستنتج قضايا مهمة تتعلق بسيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أهمها:

أولاً: الرؤيا الصالحة

ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن أول ما بدئ به محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، وتسمى أحيانًا بالرؤيا الصادقة، والمراد بها هنا رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتزكو بها الروح ولعل الحكمة من ابتداء الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالوحي بالمنام، أنه لو لم يبتدئه بالرؤيا، وأتاه الملك فجاة ولم يسبق له أن رأى ملكا من قبل، فقد يصيبه شيء من الفزع، فلا يستطيع أن يتلقى منه شيئا، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتيه الوحي أولا في المنام ليتدرب عليه ويعتاده والرؤيا الصادقة الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة كما ورد في الحديث الشريف وقد قال العلماء: وكانت مدة الرؤيا الصالحة ستة أشهر، ذكره البيهقي، ولم ينزل عليه شيء من القرآن في النوم بل نزل كله يقظة.

والرؤيا الصالحة من البشرى في الحياة الدنيا فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له».

فكان صلى الله عليه وسلم قبل نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي في غار حراء يرى الرؤى الجميلة فيصحو منشرح الصدر، متفتح النفس لكل ما في الحياة من جمال، لقد اجمعت الروايات من حديث بدء الوحي أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة الصالحة، يراها في النوم فتجيء في اليقظة كاملة، واضحة كما رآها في النوم، لا يغيب عليه منها شيء كانما نقشت في قلبه وعقله، وقد شبهت السيدة عائشة رضي الله عنها- وهي من أفصح العرب- ظهور رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا استيقظ بها من كمال وضوحها بظهور ضوء الصبح ينفلق عنه غبش الظلام، وهو تصوير بياني لا تنفلق دنيا العرب في ذرى فصاحتهم عن أبلغ منه.

مرض الصدِّيق بالمدينة في بداية الهجرة

كانت هجرة النبي وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبر عنها النبي بقوله: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت».

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما قدم رسول الله المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، وكان واديها يجري تجلا (يعني ماء آجنا) فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه، قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم -وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب- وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت، كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه
إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه
كالثور يحمي جلده بروقه

قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول. قالت: وكان بلال إذا اقلع عنه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت: فأخبرت رسول الله بذلك فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حمّاها واجعلها بالجحفة».

وقد استجاب الله دعاء نبيه ، وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطنا ممتازا لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم.

شرع رسول الله بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود، وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان أبو بكر -رضي الله عنه- وزير صدق لرسول الله ولازمه في كل أحواله، ولم يغب عن مشهد من المشاهد، ولم يبخل بمشورة أو مال أو رأي.

اتهام المحصنات بلا دليل قاطع يفتح المجال لقذف كل بريء

■ استمرار سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الزنا بأن جو المسلمين ملوث والفعلة شائعة

■ تشديد القرآن في عقوبة القذف جاء صيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابها من الأذى

«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون».

إن ترك الالسنة تلقي التهم على المحصنات - وهن العفيفات الحرائر ثيبات او ابكارا - بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحا لكل من شاء ان يقذف بريئة او بريئا بتلك التهمة النكراء، ثم يمضي آمنا! فتصبح الجماعة وتمسي، وإذا اعراضها مجرحة، وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم او مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاك في زوجه، وكل رجل فيها شاك في أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار، وهي حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق.

ذلك إلى أن اطراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة بأن جو الجماعة كله ملوث، وأن الفعلة فيها شائعة، فيقدم عليها من كان يتحرج منها، وتهون في حسه بشاعتها بكثرة ترددها، وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها!

ومن ثم لا تجدي عقوبة الزنا في منع وقوعه، والجماعة تمسي وتصبح وهي تتنفس في ذلك الجو الملوث الموحي بارتكاب الفحشاء.

لهذا، وصيانة للأعراض من التهجم، وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم. شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا.. ثمانين جلدة.. مع إسقاط الشهادة، والوصم بالفسق.. والعقوبة الأولى جسدية . والثانية ادبية في وسط الجماعة، ويكفي ان يهدر قول القاذف فلا يؤخذ له بشهادة، وان يسقط اعتباره بين الناس ويمشي بينهم متهما لا يوثق له بكلام! والثالثة دينية فهو منحرف عن الإيمان خارج عن طريقه المستقيم، ذلك إلا أن يأتي القاذف باربعة يشهدون برؤية الفعل، او بدلالة معه إن كان قد رآه، فيكون قوله إذن صحيحا، ويوقع حد الزنا على صاحب الفعلة.

والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخص فيه، وعدم التحرج من الإذاعة به، وتحريض الكثيرين من المتحرجين على ارتكاب الفعلة التي كانوا يستقذرونها، ويظنونها ممنوعة في الجماعة او نادرة. وذلك فوق الآلام الفظيعة التي تصيب الحرائر الشريفات والأحرار الشرفاء، وفوق الآثار التي تترتب عليها في حياة الناس وطمأنينة البيوت.

وتظل العقوبات التي توقع على القاذف، بعد الحد، معلقة فوق رأسه، إلا أن يتوب:

(إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم).

وقد اختلف الفقهاء في هذا الاستثناء:هل يعود إلى العقوبة الأخيرة وحدها، فيرفع عنه وصف الفسق، ويظل مردود الشهادة؟ أم ان شهادته تقبل كذلك بالتوبة، فذهب الأئمة مالك وأحمد والشافعي إلى انه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق. وقال الإمام ابو حنيفة: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة. وقال الشعبي والضحاك:لا تقبل شهادته، وإن تاب، إلا ان يعترف على نفسه بانه قال البهتان فيما قذف، فحينئذ تقبل شهادته.

وأنا اختار هذا الأخير لأنه يزيد على التوبة إعلان براءة المقذوف باعتراف مباشر من القاذف وبذلك يمحي آخر اثر للقذف ولا يقال:إنه إنما وقع الحد على القاذف لعدم كفاية الأدلة ! ولا يحيك في أي نفس ممن سمعوا الاتهام انه ربما كان صحيحا، ولكن القاذف لم يجد بقية الشهود، بذلك يبرأ العرض المقذوف تماما، ويرد له اعتباره من الوجهة الشعورية بعد رده من الوجهة التشريعية، فلا يبقى هنالك داع لإهدار اعتبار القاذف المحدود التائب المعترف بما كان من بهتان.

ذلك حكم القذف العام. ولكن استثنى منه أن يقذف الرجل امرأته، فإن مطالبته بأن يأتي باربعة شهداء فيه إرهاق له وإعنات. والمفروض ألا يقذف الرجل امرأته إلا صادقا لما في ذلك من التشهير بعرضه وشرفه وكرامة أبنائه. لذلك جعل لهذا النوع من القذف حكما خاصا.